تاريخ المغرب والمصادر العربية

لا نظن أن دولة من الدول التي تتقاذف على شواطئها امواج البحر الابيض المتوسط بلغ تاريخها من الغموض والتشعب ما بلغه تاريخ المغرب الاقصى مع ان هذه البلادات دورها في جانب الحضارات القديمة والحديثة تارة بنفسها وتارة في صفوف من كان يتولى رعايتها ، كل هذا — مع ما امتاز به موقعها الجغرافي — كان يجب ان يجعل لحوادثها صدى يخلد ضمن الدفاتر والكتب فيكفي المؤرخين مؤنة البحث والتنقيب ، يظهر انه لم يكن شيء من هذا وان تاريخ المغرب مبهم الحوادث غير منتظم الحلقات يحفه الغموض ويتسرب اليه الخلل وقد ازداد هذا الغموض التباساً في العصور الحديثة عند ما سقطت الدولة الرومانية وتقلص ظلها بافريقيا الشمالية ، هذا ما يقوله المؤرخون الذين خاضوا عباب حوادث هذه البلاد فاستقرؤوا الدفاتر واستنطقوا النقوش وقابلوا بين الاقوال المتضاربة والاراء المتناقضة وردوا الاسباب الى مسبباتها رائدهم في ذلك الذوق السليم والمنطق الصحيح .

بدأت تظهر خدمات هؤلاء الجهابذة الاعلام منذ نحو قرن وكان احتلال فرنسا للجزائر من اعظم العوامل لتوجه انظارهم الى البحث عن تاريخ افريقيا الشمالية عموماً اذ اتيح لهم اذ ذاك ان يضربوا في عرض البلاد ويشاهدوا بعين رأسهم تطبيق ماكان لديهم من المعلومات المرتكزة على الحدس والتخمين فانقلب تاريخ افريقيا الشمالية ظهراً لبطن وتميز فيه الصحيح من الزائف وظهر حل يرتضى لمشاكل عديدة كان فصلها يعد مستحيلا .

وكان الذين يخوضون في تاريخ هذه البلاد فيئة قليلة من الاختصاصيين تعد على الاصابع اما الجمهور فمعلوماته كانت ضئيلة عن تاريخ افريقيا الشمالية الا ما كان يطلع عليه اثناء المامه بتاريخ الحضارات القرطاجنية والرومانية .

وباستيلاء فرنسا على الجزائر ظهرت فئة اخرى اختصت بفرع آخر من تاريخ افريقيا الشمالية نعني بها طائفة المترجمين الذين كانوا في معية الجيش الافرنسي فاشتغلوا وقت فراغهم بالتنقيب عن المصادر العربية المتعلقة بالتاريخ فاستخرجوا منها كمية وافرة من خزائن المعاهد الدينية والخزائن الخصوصية وما عتموا ان ترجموها ونشروها بعد ان أضافوا لبعضها النص العربي فكانت جهودهم هذه غرة في جبين الدهر ، يشكرون عليها .

تناولت الايدي هذه المصادر الجديدة وكثر الاشتغال بها في جميع الدوائر التي تعتني بالتاريخ بل أقبل عليها الجمهور ممن كان يتشوف الى الاطلاع على غابر هذه البلاد وكانت الكتب العلمية المؤلفة في الموضوع تمتنع عليه لغموض ابحاثها الفنية وصعوبة الاستفادة منها وكذلك شأن الجمهور عادة امام الموضوعات الفنية التي تفوق مداركه البسيطة فهو ابداً يميل الى البسيط من هذاالقبيل.

اما الاختصاصيون في التاريخ فتلقوا هذه المصادر بغاية التحفظ وكان موقف جلهم امام بضاعتها سلبيا محضا وسرعان ما عدوها ضرباً من الخرافات والاقاصيص الدارجة فنعوا عليها افراطها في الغلو الخارج عن دائرة التعقل مما لا تسعه جمجمة الغربي ولا تقبله تعاليمه المعتدلة ورموها بالخبط وعدم التحفظ في الروايات والنقول التي ياخذونها على عواهنها من غير روية ولا تمحيص وينزوها — بما امتازت به — بالسير مع الاغراض والميل الى التزلف المفرط وادراج القصص والكرامات الخارقة للعادة في مواقف تاريخية للحقيقة فيها مندوحة عن الخرافات والاحلام وبالاسهاب في تدوين المسائل التافهة على حين انهم يمرون على القضايا التاريخية المهمة فلا يلتفتون اليها ، وبما عرفوا به من التكلف في العبارات والجنوح فيها الى الاسجاع الباردة والاستعارات والتشبيهات المستهجنة التي تفقد نثرهم مسحة الطلاوة والانسجام مما يدعو الى التضرع الى المعجمات والكتب اللغوية لتفهم تلك الرموز والاشارات حتى أصبحت النقوش القديمة والكتابة الهرُكليفية اقرب منها منالا وأسهل استفادة .

كل هذه الانتقادات المرة وغيرها مما ضربنا عنه صفحاً خوف الاطالة وجهت سهامها لهذه المصادر وانفصل اصحابها اخيراً الى اعتبار الفكر (العربي المغربي) ليس في استعداده تصور التاريخ بالمعنى الذي يراد منه وان ما أبرزته قريحته في هذا الموضوع جدير ان يستفيد منه العالم النفسي أكثر من المؤرخ اذ بينما هذا يبحث عن الحقائق العارية والاسباب التي تربط الحوادث بما قبلها وبما بعدها اذا بذاك يمعن في الميول الفكرية والنزعات العقلية والخواص النفسية والاراء الفردية والشعبية .

نحن لا ننكر القسم الاكبر من هذه الانتقادات التي توجه للمصادر العربية والتي نشاهدها بانفسنا ولا يعسنا انكارها لمجرد التعصب القومي اذ نعلم اننا لا نجني وراء ذلك فخراً ولا مجداً ولكننا لا نجاري هؤلاء الاختصاصيين — رغماً عن اجلالنا لخدماتهم وجهودهم — اذ لا نود أن نسقط في نفس الغلو الذي وقعوا فيه بينما هم يندون به ويحاولونه من أعظم الاسباب التي تضعف مركز هذه المصادر العربية امام التاريخ — بل نميل مع من يقدر هذا الارث حق قدره — على ما فيه من غث وسمين — ويرى ان هذه السندات التاريخية صادرة عن حسن طوية من قوم لم يكن لهم المام بثاراء ومبادئ تيلمو Tillemont وكميل جليان Camille Julian وبرنتير Brunetière واضرابهم ممن وضعوا قواعد علم التاريخ وصارت تآليفهم انموذجاً لكل من يريد ان يكتب في التاريخ .

وكأن هؤلاء الاختصاصيين نسوا او تناسوا ان المؤرخين اليونانيين والرومانيين الذين يعدون قادة الفكر لم يضربوا كلهم على وتر واحد فيما تركوه من المصادر التاريخية وان الجانب الاكبر مما خلفوه لايثبت امام النقد الصحيح ، والافان جازت العبرة بالافراد والتشبث باهذاب الشواذ في هذا المضمار فان لنا في ابن خلدون ما يكفينا في هذا الميدان ولكننا لا نعتبر للتفاخر والتعصب هنا مجالا بل نرى ان ما خلفه القدماء للمتاخرين من التراث الفكري هو ملك مشاع للانسانية لا يختص به شعب دون الاخر.

على أن هذه المصادر العربية قد اتيح لها من يعيط عنها لثام الشبهات ويبرزها في ثوبها الحقيقي فظهرت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر طائفة من الجهابذة الاعلام نعني بها المشتشرقين الذين ضربوا في فرع التخصص

التاريخي بالسهم الوافر وحازوا مع ذلك قسطاً وافراً من الالمام باللغة العربية فتوفرت لديهم المعلومات وأسباب المراجعة والمقابلة في المظان القيمة فألقوا بذلك على محك النقد الصحيح فاذا هم يصدعون بقيمتها الحقيقية ناشرين مع ما عرفوا به من التحفظ والرزانة صحيحها منبهين الى هفواتها ، ولم يكتفوا بما نشر سابقوهم بل عمدوا الى البحث عن المصادر التي كانت تسمع ولا ترى فاستخرجوها من زوايا النسيان وأبرزوها في حلة جديرة باهميتها من حيث اتقان الطبع والمقابلة على النسخ المتعددة وضبط الاعلام شافعين ذلك بفهارس عديدة تقرب المنال وتكفي مؤنة البحث الطويل .

ان رجالا كهؤلاء خدموا الحقيقة باخلاص ونزاهة ومدوا لنايد الاسعاف للاطلاع على ما ضينا وكفونا مؤنة الرد على من صوبوا سهامهم في نحورنا لجديرون باعجابنا وبخالص شكرنا ما دامت هذه المؤلفات التي نشروا تتناولها الايدي ويستفيد منها التاريخ .

ولكن يظهر أننا لم نقم بما كان ينتظر منا ولم نمد لهم يد المساعدة كما تقتضيه التقاليد العلمية بل ربما كنا عقبة كؤداً في سير اعمالهم وحاجزاً منيعاً في سبيل رغائبهم ونشاطهم ذلك اننا بخلنا عليهم بما تحت أيدينا من المصادر القيمة التي خلف أسلافنا ، ويعلم الله انهم لم يعانوا فيها مشقة التاليف وعناء الجمع الا ليستفيد منها الخلف الصالح ، فعوض أن نقتدي بهدي أصحابها حرصنا عليها حرص النملة على زادها وتركناها في زوايا البيوت تفترسها الحشرات ويعبث بها الدهر .

وبهذه المناسبة حيث اتيح لنا — بما تفضلت به هذه المجلة الغراء — نشر بحثنا هذا فاننا نرفع نداءً حاراً الى مواطنينا الكرام راجين منهم أن يرجعوا الى رشدهم ويتفضلوا بابراز ما يوجد بخزائنهم من نفائس الكتب التي تعين على درس تاريخنا وكشف النقاب عن غابر حضارتنا ، وليعلموا أن نفائسهم هذه لا تغتصب منهم وان قيمتها تزيد بنشرها وظهورها بين أيدي المتعطشين الى الاستفادة منها .

بهم

حج بيت الله الحرام

في بحر الموسم الفارط لحج هذه السنة رأينا كثيراً من شبابنا المهذبين النبلاء انخرطوا في سلك الوفد المغربي الذي تشرف بالرحيل الى الأقطار الحجازية لاداء فريضة الحج المقدسة ، فكانت حركة مباركة وظاهرة مؤثرة حمدنا مغبتها وشكرنا مسعاها ، ولقد سرنا ان رأينا من بين اولائك الشبان الحجاج الشاب الاديب المهذب السيد الحاج التهامي نجل صديقنا الفقيه سيدي احمد الزبدي الكاتب العام للجمعية الخيرية بالرباط ، والشاب المثقف السيد الحاج المصطفى بركاش نجل صديقنا الماجد الابر السيد القاطمي بركاش ، وقد رجع الشابان سالمين مغتبطين فنهنيهما بيمن الحج وسلامة الاياب كثر الله من أمثالهما .

— دواء —
الم الاسنان — ووجع الرأس
ونزلات البرد
والرماتسم

اسبيرين

« معامل الرون »
اشهر من ان يعرف بها
— تباع في سائر الصيدليات —

بريد المجلة

(من دار ابن العامري) — نرجو من فضيلتك أن تتحفنا بورقة خاصة في نظام المحاكم والادارات بالعاصمة الرباطية وفي بيان رؤسائها من الوطنيين والاوربيين ، مثال من ذلك : وزارة العدلية ، الرئيس : فلان ، المفتش : فلان . شأن العدول والقضاة وما يعملون . ومثال آخر : ادارة الامور الاهلية والاقامة العامة هل هما اسمان لمسمى واحد أو ادارتان مختلفتان الخ

العربي بن ازبيطوا المختاري البوجنوني

(الجواب) — ابتداءً من العدد المقبل نخصص كلما امكن صحيفة لما طلبتم ان شاء الله .

بيان

من المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي العام عن مهمة وفده الى العراق والهند

نشرت بعض الصحف اخباراً تتضمن ان وفد المؤتمر الاسلامي العام الى العراق والهند سيتناول بحث تنصيب خليفة للمسلمين ، ولما كانت هذه الاخبار لاظل لها من الحقيقة قطعياً فان المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي العام يعلن تكذيبها ويكرر ما اعلنه الوفد قبل سفره من ان مهمته لا تتعدى تنفيذ قرار المؤتمر الاسلامي فيما يختص بانشاء جامعة المسجد الاقصى الاسلامية .

ادارة المجلة

انتقلت ادارة المجلة الى نهج جول بوافر رقم ٢ بملك متياس . وبه الاعلام .

Rue Jules Poivre N° 2 - Immeuble Mathias

الكتب والنشريات

[الاخلاص] لسان حال جمعية علماء السنة بالايالة الجزائرية كما ان (السنة النبوية) التي سبق لنا التنويه بها في العدد الاخير لسان حال جمعية العلماء المسلمين ، والجمعيتان بينهما خلاف شديد في عصر نرى فيه حتى الفروق المذهبية تتلاشى امام ضروريات الحياة ودواعي الاتحاد ، وفي دين من شأنه ان لا يتطرق اليه جدال وقد امتاز عن غيره من الاديان بحفظ الكتاب الشامل لتعاليمه ، ولو شاءت الجمعيتان لكان الوفاق بينهما سهل المنال خصوصاً وان العالم الاسلامي والحمد لله لا يخلو من علماء اجلة يمكن الرجوع اليهم عند الحاجة ، ولقد أخطأت جمعية علماء السنة في تشكيل هاته الجمعية وقد كانت تأسست قبلها جمعية العلماء المسلمين ، فليس علماء السنة بخارجين عن طائفة العلماء المسلمين حتى يجعلوا لانفسهم جمعية خاصة بل كان ينبغي لهم الدخول في الجمعية السابقة وهي جمعية جامعة لسائر العلماء الجزائريين وهناك يناضل كل عضو على مباديه ويفصل الخلاف ان وقع بنزول الجميع عند رغبة الاغلبية من غير ان يسير في طبقات سواد الامة فيضلها عن رشدها ويشتت امرها ويثير فيها مثل هاته الاحقاد التي نشاهدها الان ، الامر الذي ادى بطلب أو بغير طلب ، الى تحكيم الولات في امر ديني محض يرجع الحكم فيه لله وحده ولرسوله ولعلماء المسلمين ، كما ان جمعية العلماء المسلمين اخطأت في اشتغالها ببعض العوائد التي لا يضر السكوت عليها ولا يعارض بقاؤها في شيء ما التربية المنشودة وفي اشتغالها بالقضية الطرقية ، فان لها في باب الاصلاح ما هو الآن اهم من ذلك بكثير ، وقد شاهدنا من بلاد الشرق ايان تحفزها للنهضة مثل هاته الحركة وشاهدنا مثلها ايضاً في الاقطار الاوربية (اذ غالباً ما نرى مطالب الحربة تبدؤ بمحاربة اهل القوة والسيطرة من الطوائف الدينية وغيرها على ان هناك فرقاً بين اصحاب الكنائس الذين يستند نفوذهم على النواميس الدينية وبين اهل الطرق الذين ليس لهم في ديننا الحنيف من النفوذ الا ما يشاء الناس) ولكن مقتضيات